

كلية الآداب والعلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية قسم اللغة والأدب العربي - جامعة تلمسان -	المرأة والعنف	أ.بن لباد رفيقة
الملخص: ظاهرة العنف عرفت منذ أن خلق الله البشرية وهو تصرف يكون بغياب العقل، أو بعد عدم القدرة على إبطال ما يوده الإنسان إلى الطرف الآخر. ومن المعنيين بظاهرة العنف هناك المرأة التي عانت ولا زالت تعاني أزمات العنف إلى يومنا، ولذا لا بد بدلنا من حل اتجاه هذه المشكلة. ما قاله الله وأوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي هذه المقالة وبعض الآراء بخصوص معاملة المرأة وكيفية كسبها.		

عاشت المرأة في الجاهلية مكانة لا تحسد عليها، لم تتمتع بحقوقها، بالرغم من أن الله تعالى منذ أن خلق البشرية التي بدأت بسيدنا آدم عليه السلام، وخلق له زوجة يسكن إليها وتسكن إليه، وظلت حواء نصف آدم من بداية الأمر، وكانت له عوناً على الحياة وقد جعلها سبحانه وتعالى مكملة له بما أودع فيها من رقة وأنوثة وهاته الصفات تنقص الرجل، إلا أن المرأة نبذت رغم ذلك واضطهدت لتفضيل بعض قبائل الجاهلية الذكور عن الإناث، فتلقت الاعتداء، والوأة خشية الإملاق أو العار.

وكانوا في الجاهلية يعتبرونها إرثاً وليس لها رأي في الرفض والقبول، فعانت المرأة الإهدار لإنسانيتها، والإهانة لكرامتها، والحبس لحريتها، والفقد لحياتها، والسوء في المعاملة وخاصة المتعلقة بالأنكحة.

فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «والله إنا كنا في الجاهلية لا نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله ما أنزل وقسم لهن ما قسم».

جاء الإسلام ووجد الأمة العربية تتخبط في ظلام حالك جراء تلك العادات والتقاليد التي سادتها ، ومن تلك العادات ما لاقته المرأة آنذاك. فقد انتشلها الإسلام وقوم حياتها ونظم شؤونها وجعلها تعيش في عزة وكرامة بما أعطاه ومنحها من حقوق، فانفتحت على حياة سليمة ومنظمة ورفع من شأنها على أنها النصف المكمل للرجل، فتخلصت المرأة من قيود الجاهلية.

فتكريمها يظهر من خلال حقوقها التي أعطاه إياها الإسلام والواجبات التي عليها.

وبذلك تعلن المساواة بينها وبين الرجل وعلى أنها-المرأة-جزء من الرجل لا يتجزأ **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى»** سورة الحجرات الآية 13 وما خلق الله من خلق عبثا وإنما كل ما خلقه، خلقه لحكمة في هذه الدنيا، والمرأة خلقت كذلك أي لها دورها في الدنيا إلى يومنا هذا؛ ودورها يتجلى في بناء الأسرة إذن هي نعمة عظيمة ينبغي على الرجال حمايتها وأن يكونوا سنداً لها لا عدواً لها.

وقد أوصى الرسول الله عليه وسلم بالنساء خيراً وبعدد ضربهن حيث قال: **«اتقوا الله في النساء، واستوصوا بالنساء خيراً»** حيث إنه كان يغضب إذا سمع بامرأة يضربها زوجها.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُضْرَبُ أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ ضَرْبَ الْعَبِيدِ ثُمَّ يَعْقِبُهَا آخِرَ النَّهَارِ». وقال أيضاً: **«خيركم، خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».** فكلّام الرسول يدل على أن المرأة كيان، إحساس، فهي كل شيء وليس شيء إذا ما فرغ الرجل من قضاء حوائجها اتجاهها رماها وأعطاهم ظهره.

و قد أوضحت الشريعة الإسلامية حقوق المرأة على زوجها من حماية، ورعاية، ونفقة، ووقاية من النار وذلك بتعليمها وتأديبها ومن حقوقها عليه كذلك أن يغار عليها لأن الله سبحانه وتعالى أودع في قلب الرجل غيرة يحمي بها عرض نسائه؛ ويدافع عن كرامتهن، ومن هنا يمكن القول أن الغيرة سياجا قويا لحفظ الأعراض وحارس أمين للكرامة

المرأة؛ إذن فالغيرة نعمة من عند الله، وهي واجبة على كل رجل حتى يحافظ على المرأة ويحافظ على مكانتها، لكن لا بد لها- الغيرة- من حاكم يحكمها، ألا وهو العقل حتى لا تخضع لها جس الظن وعدم التثبت ومن ثمة تصبح مصدر شقاء وآلام؛ وهنا نطلق عليها: الغيرة الجنونية وهذا ما يصل بالأسرة إلى التفكك والهدم وتصبح بذلك وبلا وإجراما، لا صونا وإكراما.

وكذلك من حقوقها معاشرتها بالمعروف قال تعالى: «وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا» [النساء الآية 19]. وعلى الزوج أن يتحجب إلى المرأة ويناديها بأحب الأسماء إليها ويكرمها بما يرضيها، وعلى المرأة طاعة زوجها بالمعروف»¹

فمن خلال كل ما قلناه يتبين لنا كم رفع الإسلام من شأن المرأة وكم منحها من حقوق لم تتصور أنها سترها حتى في خيالها.

فمن الرجال من يدعي أن المرأة بزواجها تفقد شخصيتها لكن الحقيقة عكس ذلك، فالزواج يزيد من كرامتها وعزتها بما سيمنحها الزوج من راحة وطمأنينة وهدوء **فَاللَّهُ تَعَالَى: { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }** سورة الروم الآية (21).

وقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم رجلا. قال الرجل: من أحق الناس بصحابتي؟ قال الرسول أمك، قال الرجل: ثم من؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك.

ووصل لين الرسول اتجاه المرأة حتى اتجاه المرأة المشركة فقد منحها حق الاحترام واوجب الإحسان إليها. فقد روت أسماء بنت أبي بكر قال: «قدمت على أمي وهي مشركة، فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أمي قدمت علي وهي راغبة-مشركة-، أفأصلها؟ قال: نعم، صلي أمك» متفق عليه.

فإذا كان الله سبحانه وتعالى أوصى بالمرأة خيراً وأوصى بها رسوله الكريم فأين أنت أيها العبد الضعيف، أنظر إلى مكانتها التي منحها إياها الإسلام، فقد رفعها ونجها من متاعب الجاهلية القاسية التي أهدرت حقوقها وكرامتها، فمن تكون حتى تحتقرها، وتحرمها من حقوقها، وتنادي على حقوقك فقط؟ من تكون حتى تستعمل أساليب العنف ضدها والرسول بغض وكره من ضرب زوجته وقد ذكرنا فيما سبق ما قاله الرسول فيما يخص ضرب المرأة.

فالعنف ضد المرأة هو آخر لغة التخاطب بينهما، فلماذا نبداً بآخر التصرفات لماذا لا نتبع مراحل الحوار، لماذا نشق على أنفسنا لماذا الاحتقار؟ لماذا عدم المبالاة؟ لماذا أساليب النفور؟ لماذا الكراهية؟ لماذا الابتعاد؟ أسئلة كثيرة وكثيرة جداً نسأل الرجل أن يجيبنا عليها.

نحن نعلم أن العنف من صفات البشرية، يتصف به الفرد والجماعة. وقد بدأ ببداية الخليقة، وذلك كان في بادئ الأمر مع قابيل الذي قتل أخاه هابيل فالعنف هو شعور بالغضب والعدوانية يتجسد بأعمال تهدف إلى تدمير الطرف الآخر.

«والعنف هو الخروج عن مبادئ وقواعد السلوك التي يحددها ويرسمها المجتمع لأفراده، وهي من الوقائع الاجتماعية التي لازمت المجتمعات البشرية منذ أقدم عصورها وعانت منها الإنسانية على مر الأجيال وهي ليست فعلاً مطلقاً بل فعلاً نسبياً تحدده عوامل كثيرة كالزمن والمكان والثقافة»².

إذن فالعنف مرتبط بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية وبالظروف النفسية والحاجات التي يعيشها الإنسان مع عنفه؛ وهو-العنف- الاستخدام غير شرعي للقوة أو التهديد باستخدامها لإلحاق الأذى والضرر بالطرف الثاني وهو « ظاهرة مركبة لها جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية وهو ظاهرة عامة تعرفها كل المجتمعات البشرية بدرجات متفاوتة »³.

ويعرفه بعض العلماء على أنه « نمط من أنماط السلوك ينتج عن حالة إحباط ويكون مصحوبا بعلامات التوتر ويحتوي على نية مبيتة لإلحاق ضرر مادي أو معنوي بكائن حي أو بديل عن كائن حي»⁴.

و على حسب هذا التعريف يتضح لنا أن العنف هو استجابة لمثير خارجي تؤدي إلى إلحاق الأذى بشخص آخر استجابة في شكل فعل عنيف تكون مشحونة بانفعالات الغضب والهياج والمعاداة نتجت عن عملية إحباط. وهذا التصرف الحاصل يكون حين يعجز العقل عن الإقناع وذلك عندما يكون هناك عجز في العلم والفهم وهذا ما يعرف بانغلاق العقل « ومتى انغلق العقل، تكلمت اليد»⁵.

فغيباب العقل بانعدام العلم وعدم الفهم من الأسباب الدافعة للعنف وكذا عدم القدرة على السيطرة على الذات.

و بذلك يطغى على شخصية الإنسان العنيف الانطواء واللامبالاة العاطفية، والعدوانية، والنرجسية ويسهل عنده اختراع القصص التبريرية. وبذلك يكون العنف عشوائيا مدمرا لأنه لغة التخاطب الأخيرة الممكنة مع الواقع وخاصة الطرف الآخر، وذلك يحصل حين يحس المرء بالعجز عن إيصال صوته.

وهو بهذه التعريفات لا نقصد به فقط العنف الدامي وإنما كل فعل يطل الفرد أو المجتمع بالتخريب والتدمير.

وإن أدوات العنف قد تطورت تقنيا وأخذت أشكالا لم يعد من الممكن القول إن نتائجها التدميرية تتناسب مع الغايات الدافعة لهذه الأدوات أو المبررة لاستعمالها»⁶.

والعنف يمر بمراحل أربع:

1. مرحلة الموافقة المخففة حيث تولد فكرة العنف وتنمو

2. مرحلة الموافقة المبينة والموضحة حيث يتأرجح الفرد بين الرغبة بالفعل والإعراض عنه.

3. مرحلة الأزمة، حيث تتم الموافقة على التنفيذ

4. مرحلة التنفيذ، ويقدم على فعلته.

وبذلك تكرر الجريمة يصبح أمرا سهلا

والخطوات الأولى للسير نحو العنف هو فك الارتباط العاطفي بالآخر، حيث تنهار روابط الإلفة والمحبة والحماية والتعاطف التي أوصانا بها الإسلام. ومن أنواع العنف الذي نراه ونشاهده كثيرا هو عنف الرجل ضد زوجته التي أوصاه عليها الرسول الكريم.

فالرجل يخطب المرأة ويبني لها قصرا من الأحلام، ويمتعها بكلمات كاذبة تمنعها حتى من التفكير فيما ينفعها أو يضرها. تعيش المرأة في تلك الأحلام تحب الرجل، بل تقدسه، وترسم لنفسها معه مسارا كله ورود، وحياة ملؤها السعادة، وراحة البال، والطمأنينة بنية منها على أنه سيكون سندا لها لا عليها، يعدها الرجل بحياة هادئة، مطمئنة.

تتحدى المرأة كل ما يقال لها على هذا الشخص يتعدى الأمر أن تعترض على موقف والديها منه بعد رفضه بطبيعة الحال.

تتزوج المرأة، تعيش فترة من الزمن مع الزوج في مواصلة الكذب، وشهر عسل وهي.

في يوم من الأيام استيقظت، تفاجأت بوحش يدخل غرفتها، ويوجه لها كلاما جارحا، لم تتصور الموقف، وتجاهلته، تكرر الموقف وتعدى الزوج الكلام إلى تنفيذ للتهديدات التي كانت تسمعها، فتلقى المرأة الصفعة تلوى الخرى ومن الممكن أن يكون هناك حتى اللكمات والضرب بالسوط.

وهنا على المرأة أن تختار إما أن ترفض العنف الموجه ضدها أو تقابله بعنف آخر يزيد من عدوانية الزوج وجبروته، وهكذا يزداد تأثير العنف. أو تتقبل هذا التصرف على أمل منها أن يستقيم الزوج ويتغير أسلوبه في التعامل أو تجنباً للفضيحة.

وقد تتقبل الإهانة لعامل اقتصادي، وهو خوفها من عدم إعالة نفسها وإعالة أبنائها لأنها مأكثة في البيت.

وفي هذه الحالة يتبين لنا أنه هناك حالتان للعنف ضد المرأة.

-العنف ضد المرأة الزوجة

-العنف ضد المرأة الزوجة والأم

فالمضاعفات على المرأة الزوجة أخف بكثير منه على المرأة الزوجة والأم لأن انعكاسات العنف في الحالة الأولى تطل الزوجة فقط بينما في الحالة الثانية تطل الزوجة والأبناء.

فحوادث العنف الأسري منتشرة بشكل رهيب، وما تصرف الزوج ضد زوجته إلا رد فعل عما بداخله فهو بدوره كان ضحية ملاقاه جراء تعامل والده مع والدته والذي كان عنيفاً معها، أو حتى هو طالته يد والده بدوره.

و المرأة ضحية دائماً لما تشهده من تصرفات عدوانية اتجاه أمها ثم تتعرض بدورها لنفس المأزق مع زوجها وهنا يمكن أن تنسحب من الملعب وترفض الزواج لعنف الرجال وعدوانيتهم.

وقد أشارت بعض الدراسات إلى أن أسباب العنف الزوج على زوجته هو: *حصول الزوجة على نصيب أوفر من التعليم الذي يخلق جواً من التوتر وعدم التوازن ويؤدي إلى ردة فعل، فيعوض ذلك النقص باحثاً عن سبل استخدام عضلاته.

*وكذلك مهنة الزوج التي تحتاج إلى القوة العضلية يكون ميالا إلى الشجار وإلى استخدام القوة لحل النزاعات.

*كما يلعب الخمر الدور الفعال في تفاقم العنف داخل الأسرة.

*و أما الغيرة التي تحدثنا عنها سابقا-الغيرة الجنونية- وليست الغيرة التي أوصانا بها الرسول -صلى الله عليه وسلم- فلها دور بارز في احتدام العراك والصراع بين الطرفين.

*والخيانة التي يتهم بها الزوج زوجته للهروب من التزاماته لضعفه وعدم استطاعته التوفيق في الأمور، دافع فعال لقيام التصادم بينهما، لأنه بدوره عاش فترة خيانة زوجية وتجارب غرامية دفعته إلى الشك بزوجه وإسقاط تلك الانحرافات عليها.

وأنماط الزوج العنيف مختلفة فهناك:

1.الرجل المسيطر الذي يعامل شريكته كما لو كانت شيئا يملكه ويسعى بسلوكه العنيف إلى تحقيق السيطرة التامة عليها.

2.الرجل المتناقض انفعاليا والذي يعيش عادة مشاعر حادة ومتناقضة إزاء زوجته وتغلب عليه التبعية الانفعالية للشريكة فيحاول بإخلاص الحصول على رضاها وعفوها عن ثورات الغضب والعنف التي لا يسيطر عليها.

3.ويدعى بالمهذب المزيف: وهو الرجل الذي يسعى في سلوكه إلى تحسين صورته في أعين الآخرين على حساب عفويته مما يزيد مشاعر القلق التي تتراكم إلى أن تحين لها فرصة انطلاق في ثورة غضب يتم خلالها تفريغ التوتر من خلال سلوك العنف والعدوان.

4.و يدعى المتوحد بالشريك: وهو الذي يرى في شريكته جزءا من ذاته، وكل محاولة للشريك تهدف إلى الاستقلال العاطفي أو الاقتصادي أو الاجتماعي تزيد شعوره بالتهديد فيزداد تاليا احتمال ظهور العنف عنده.

لماذا أيها الرجل لا تخلق الجو الدافئ داخل أسرتك وتعيش في راحة وطمأنينة مع زوجتك وأم أولادك، فهي الصديقة الوافية، حصن لك وهي الأولى بالرعاية والإكرام فإنه

إذا فتر الحب وبردت حرارة القلب، فإن معاشرة الزوجة لِمَلِّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
تَسْرِحَ بِإِحْسَانٍ قَالَ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَجِلُّكُمْ أَنْ تَرْثُوا النِّسَاءَ
كُرْهًا وَلَا تَعْضِلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ
وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا
كَثِيرًا) النساء الآية (19).

و قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «خياركم خياركم لأهلهم وأنا خياركم لأهلي»

و قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ما أكرم النساء إلا كريم»

فللمرأة حقوق في: «النظرة المتساوية بينها وبين الرجل فهما سواء في الإنسانية
والمرأة شقيقته، وما التفاضل بينهما إلا في العمل الصالح والتقوى» 7.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إنما النساء شقائق الرجال».

فأول طريقة لمنع العنف هو التأكيد أنه عنف ولا يمكن أن يكون ثمة دافع يبرره،
ثم يأتي إلى جانب ذلك العقل، والمشاعر لتنوير العقول بالعلم وكشف الحقائق
، وبيان الوقائع بصدق وأمانة ودقة، ثم طمأنة القلب والنفس ، وتأكيد أصل
المحبة الإنسانية مع التنبيه إلى عقاب جريمة العنف الذي يعد مرضاً اجتماعياً
يتطلب التعاون والتآزر من أجل محاصرته، التي تدنس المجتمع وتدمره.

فالتمس خيراً بزوجتك أمها الرجل واجلها عندك لا تبعدها عنك فكلمة طيبة
وتصرف حميد ينسبها هم الدنيا، ولتنادها بأحب الأسماء إليها كما أمرك رسول
الله ولتكرمها ولترضها كما وصاك عليه الصلاة والسلام فإنك تمتلكها دون
سيطرة ولا عنف.

الهوامش

*.القرآن الكريم.

*.صحيح البخاري، صحيح مسلم

1.د/عبد الباري محمد داود: فلسفة المرأة في الشريعة الإسلامية والعقائد الأخرى. (دراسة مقارنة) مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية مصر، ط1، 2003م (ص96)

2.د/سميرة شمعون: الجريمة والمجتمع في مجلة الأمن الصادرة عن المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي، بيروت عدد 46 تشرين الأول 1995، ص 80.

3.حسنين توفيق إبراهيم: ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية سلسلة أطروحات الدكتوراه (17) 1990.

4.مصطفى عمر الثير: الأسرة العربية والعنف في الفكر العربي، بيروت معهد الإنماء العربي، عدد 83، 1996، ص30.

5.د/أحمد يسري: حقوق الإنسان وأسباب العنف في المجتمع الإسلامي في ضوء أحكام الشريعة الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية جلال حزي وشركاه د.ط، 1993، ص 14.

6. د/جليل وديع شكور، العنف والجريمة الدار العربية للعلوم بيروت لبنان ط1/1997م، ص 13.

7.د/عبد الحميد إسماعيل الأنصاري: قضايا المرأة بين تعاليم الإسلام وتقاليد المجتمع دار الفكر العربي جامعة قطر ط1، 2000م.